على بصيرة

ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار

مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٨ - البحث ١٧

مسؤولية مؤسّسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمسجد) في حماية الناشئة من الفكر

أ.د. داود بورقيبــــة

جامعة الأغــواط، الجزائــر

إنّ تكفير أيّ إنسان أو اتهّامه بالفسق والضلال والانحراف أو النفاق، يجرّده عمليًا من حقوقه الإنسانية ويعرّضه للإهانة والقتل والطرد من المجتمع، وإذا اتّخذت عملية التكفير طابعًا جماعيًا– جماعة التكفير– وشملت جماعة أو طائفة فإنّها تعرّض المجتمع الإسلامي إلى الفرقة والاختلاف، وإذا انهارت الرابطة الدينية فلا مجال لأن نستعيض عنها بأيّ شيء آخر.

وإدراكًا من الإسلام لخطورة عملية التكفير، فقد دعا إلى احترام هوية كلّ من يتشهّد الشهادتين ويلتزم بأركان الدين وعدم التشكيك بإسلام من يعلن إسلامه حتّى في ساحات القتال وتحت بريق السيوف، حيث قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[١].

وعندما حدثت الفتنة الأولى بين المسلمين ونشبت بينهم الحروب رفض سيّدنا عليّ رضي الله عنه أن يتّهم خصومه بالكفر والنفاق وقال–كما نقل ابن كثير في البداية و النهاية–: "إخواننا بغوا علينا".

ومع ذلك فإنّ الأمّة الإسلامية قديمًا وحديثًا لم تسلم من داء التكفير، وقد تعرّض الإمام عليّ رضي الله عنه نفسه إلى عملية التكفير من قبل الخوارج الذين رفضوا التحكيم بين عليّ ومعاوية. وبالرغم من أنّ مأخذهم لم يكن يتعدّى الاجتهاد السياسي إلاّ أنّهم أضفوا عليه صفة الكفر والإيمان، وذهبوا إلى حدّ شقّ وحدة الأمّة المسلمة وإعلان الحرب على المسلمين.

ومنذ ذلك الحين استمرّت ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي، وكانت

(١) سورة النساء: ٩٤.

تنتشر وتستعر أحيانًا، وتتقلّص وتخبو أحيانًا أخرى، فبينما كانت الحروب الداخلية والظروف الاقتصادية السيّئة تؤجّجها، كانت أجواء السلام و الرخاء تطفئها وتقضي عليها.

وقد عرفت الحركة الإسلامية الحديثة منذ أواسط القرن الماضي حركات تكفير عديدة، بداية من جماعة التكفير والهجرة التي ظهرت في سجون مصر نتيجة التعذيب الشنيع الذي كان مساجين الحركة يتعرّضون إليه، وهذا التعذيب كان مبرّرًا ودافعًا لهم –حسب اعتقادهم– كي يكفّروا المجتمع بأكمله، وانتهاء بالمجموعات التكفيرية التي ظهرت أخيرًا، والتي كانت تتّهم المجتمع الإسلامي بالجاهلية والردّة والكفر...

ونظرًا لاستفحال وانتشار هذه الظاهرة الشاذّة وتسلّلها إلى مجتمعات المسلمين بفئاته وشرائحه المختلفة، تأتي أهمّية هذا المؤتمر، وما يتضمّنه من البحوث التي تعالج مثل هذه القضايا الخطيرة وتوضّح لكلّ مسلم أنّه يجب عليه ألاّ يتعجّل في إطلاق تعابير التكفير والتفسيق على المعيّنين أو الجماعات، حتّى يتأكّد من وجود جميع أسباب الحكم عليه بالكفر وانتفاء جميع موانع التكفير في حقّه، وهذا يجعل مسألة التكفير من مسائل الاجتهاد التي لا يحكم فيها بالكفر على شخص أو جماعة إلاّ العلماء الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد لأنّ الحكم على المسلم بالكفر، وهو لا يستحقّه، ذنب عظيمٌ، لأنّه حكم عليه بالخروج من ملّة الإسلام، وأنّه حلال الدم والمال، وحكم عليه بالخلود في النار إن مات على ذلك، ولذلك ورد الوعيد الشديد في شأن من يحكم على مسلم بالكفر، وهو ليس كذلك، وقد ثبت عند مسلم عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – قَالَ: "إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا"[1].

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه: ٦٠.

وفي رواية في مسند أحمد بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: "أَيُّمَا رَجُلٍ كَفَّرَ رَجُلا فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلا فَقَدْ بَاءَ بِالْكُفْرِ"[١].

وروى البخاري عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ – ﷺ – يَقُولُ: "لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلا بِالْفُسُوقِ وَلا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ"[٢].

كما يتّم البحث في سبل الوقاية من هذا التطرّف الفكري، ومسؤوليات مؤسّسات المجتمع المختلفة في ذلك؛ ومن هنا تأتي هذه الورقة البحثية التي تهدف للإجابة عن السؤال الآتي:

- ما مسؤولية مؤسّسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمسجد) في حماية الناشئة من الفكر التكفيري؟

كما يجيب البحث عن الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما معنى التكفير؟
- ما الأسرة؟ وما مسؤوليتها في تكوين الشخصية السويّة للأبناء؟
- ما المسجد؟ وما مسؤوليته في غرس الأفكار السليمة وتصحيح المعتقدات الخاطئة؟

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح: ٤٧٣١.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه: ٦٠٧٥.

المبحث الأوّل
التكفيــر

ما المقصود بالكفر:

كفر في اللغة: الكفر في اللغة هو التغطية والستر والظلام، وكلّ شيء غطّى شيئاً فقد كفره.

والكافر: الليل المظلم، وسمّي الزارع كافراً لغة لأنّه يغطّي البذر.

والكفر: ضدّ الإيمان، ويطلق الكفر على جحود النعمة وهو ضدّ الشكر[١]، والكفر: الانحناء والخضوع.

والكفر شرعاً: هو كلّ اعتقاد أو قول أو فعل حَكَمَ الشرع بأنّه كفر، وهو نقيض الإيمان، كجحد الربوبية، أو النبوة، أو جحد ما جاء به النبيّ – ﷺ – أو جحد بعضه، ومنه الشرك الأكبر، والإعراض عن الدين بالكلّية، وجحد شيء ممّا ثبت في النصوص، أو معلوم من الدين بالضرورة.

والتكفير هو الحكم على الغير بالكفر.

والمقصود بالتكفير في هذا البحث، الحكم بالكفر على المعينيّن ممّن هم على أصل الإسلام (أهل القبلة) من الأشخاص، والهيئات والفرق والجماعات والدول[٢].

ويقول ابن تيمية: " الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يُعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل، يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب

---

(١) لسان العرب (كفر) ومختار الصحاح (كفر).

(٢) أما تكفير الكفار الخلّص فهو من أحكام الله القطعية التي لا مجال للاجتهاد فيها.

في الشرع معرفته"[1].

وإذا كان من المعلوم أنّه لا يملك أحد أن يحلّل ما حرّم الله، أو يحرّم ما أحلّ الله، أو يوجب ما لم يوجبه الله تعالى إمّا في الكتاب أو السنّة، فلا يملك أحد أن يكفّر من لم يكفّره الله إمّا في الكتاب وإمّا في السنّة.

والتكفير إذا أطلق -كما في هذا البحث- غالباً يقصد به التكفير المذموم وجرى اصطلاح العلماء والباحثين على هذا، وقد يوصف أصحابه بالتكفيريين.

وهذا النوع من التكفير قد زلّت بجهله أقدام، وهلك أقوام، وضلّت فرق كالخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم، ما بين غال يكفِّر بلا بيّنات وبلا علم ولا نظر في شروط التكفير وموانعه، وما بين متساهل لا يكاد يكفِّر بالكفر البواح. فالمسلم -برّاً كان أو فاجراً، على السنّة كان أو من أهل البدع- لا يجوز تكفيره إذا وقع منه قول أو فعل كفريّ، حتّى تنطبق عليه شروط الكفر، وتنتفي موانعه[2].

(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ٢٤١/١.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ، ١٦٥/٣٥.

المبحث الثاني
الأسرة

تعريف الأسرة:

لغة : أصل كلمة الأسرة مأخوذة من الأَسْر بمعنى الشدّ والعَصْب، والأسرة بالضمّ تعنى الدرع الحصينة.

وهي المجموعة المتناسلة من الأب والأمّ، إذ هما الرباط بين هذه المجموعة سواء كبرت أو صغرت، وهم غالباً "يعيشون تحت سقف واحد وتجمعهم مصالح مشتركة"(١).

والأسرة توجد في جميع المجتمعات الإنسانية، ولأجل ذلك توجد العديد من التعريفات للأسرة، وهي تختلف بحسب اختلاف الثقافات والنظم الاجتماعية ومن هذه التعريفات: "الأسرة منظّمة اجتماعية، تتكوّن من مجموعة من الأفراد يرتبطون بعضهم بالبعض بمنظومة من الروابط الاجتماعية والأخلاقية والروحية والنفسية، وهذه الروابط هي التي تميّز الأسرة عن غيرها، فهي تفرّق بين الأسرة الإنسانية والحيوانية"(٢).

وتعرّف بأنّها: "جماعة اجتماعية تتميّز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها علاقة زواج يقرّها المجتمع، وتتكوّن على الأقلّ من ذكر بالغ وأنثى بالغة، وطفل من نسلهما أو

---

(١) عبد الله بن فهد الشريف: دور الأسرة في أمن المجتمع، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض(٢/٢١ _ ٢/٢٤ / ١٤٢٥هـ).
http: //www.minshawi.com/other/alshareef1.htm

(٢) معن خليل عمر وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، ١٩٩٢م: ٢١١.

عن طريق التبنّي"[1].

وتعرّف أيضًا بأنّها: "مجموعة من الأشخاص يرتبطون معًا برباط الزواج أو الدم أو التبنّي، ويعيشون تحت سقف واحد، ويتفاعلون معًا وفقًا لأدوار اجتماعية محدّدة، ويحافظون على نمط ثقافي واحد"[2].

وفي تعريف إجرائي: "الأسرة المسلمة هي الرباط الشرعي المقدّس الذي يقوم على الزواج، ويقوم على النصرة والحماية والترابط بين أفرادها، وتمثّل الوحدة الأولى للمجتمع وأهمّ مؤسّساته التي تتكوّن فيها العلاقات المباشرة، والتي ينشأ فيها الفرد، وتتمّ في إطارها المراحل الأولى من تنشئته الاجتماعية، حيث يكتسب الفرد عن طريقها معارفه ومهاراته وميوله وقيمه وعواطفه واتّجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكينته".

ومن الثابت في الأدبيات الاجتماعية أنّ الأسرة المسلمة منذ بداياتها الأولى وحتّى اليوم كانت لها آثار دينية وخلقية وتربوية، فهي التي كانت تضع النظم الخلقية وقواعدها السلوكية وتفصّل أحكامها، وتوضّح مناهجها وتقوم بحراستها، وهي التي كانت تميّز الخير من الشرّ، والفضيلة من الرذيلة، وترسم مقاييس الأخلاق[3]؛ فهي نعمة من نعم الله ارتضاها لعباده، لتستقرّ بها حياتهم، وتلبّى لهم رغباتهم، وتهيّئ لهم أسباب الطمأنينة، والمشاعر والعواطف

(١) حسن عبد الباسط محمد، علم الاجتماع، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٢، ص: ٣٩٩.

(٢) محمود محمد عبد الله كسناوي، أسس التربية الإسلامية ودور الأسرة في تأصيلها وتعزيزها، بحث مقدّم لندوة: تربية الأسرة في ظلّ تعاليم الإسلام، خلال ١٥-١٨/٢/١٤٢٠، تنظيم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، بالتعاون مع جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ص: ٣٤.

(٣) إبراهيم بن مبارك الجوير: الأسرة وأثرها في تحقيق الأمن الفردي والمجتمعي، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من ٢/٢١ حتى ٢/٢٤ من عام ١٤٢٥هـ، http: //www.minshawi.com/other/aljuwair.htm

النبيلة[1].

إنّ الأسرة هي البيئة الأولى لتدريب الإنسان على المسؤولية التي كلّفه الله بها، وهي عمارة الأرض، وهي الميدان العملي الأوّل الذي يمارس من خلالها مسؤولية قوامته عليها، وهي البيئة الأولى التي تعدّ الفرد لتحقيق التكافل الاجتماعي[2].

وعلى ماسبق فإنّ الأسرة مكان بناء الأجيال وإعداد وتنشئة المواطنين الصالحين للمجتمع، فيجب على القائمين عليها (الأبوين) أن يتمتّعا بثقافة تربوية كافية تعينهما على توجيه أولادهم وإرشادهم ونصحهم، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه[3].

اهتمام الإسلام بالأسرة:

لقد اهتمّ الإسلام بالأسرة اهتماماً كبيراً وجعلها الخلية الأولى في المجتمع، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة من شؤونها إلاّ وأوضحها بما لا يدع مجالاً للشكّ، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ورحمة ﴾[4].

والأسرة في الإسلام هي المحضن الطبيعي للناشئة الصاعدة، فيها تشبّ على مشاعر المحبّة والرحمة والتكافل، لتصبح هذه الركائز جزءاً من طبيعتها، وخلقاً أصيلاً يكيّف ويضبط سلوكها، ليبنى على أساسها مجتمع

(١) الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر، الرياض، ١٩٩٥، ص: ٢٣٢.

(٢) ست البنات خالد: الأسرة.. الحصن الحصين
http: //www.sharkiaonline.com/detail.asp?iData=5781&CATEGORIES_ID=60،

(٣) محمد بن يوسف أحمد عفيفي: دور الأسرة في أمن المجتمع، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من ٢/٢١ حتى ٢/٢٤ من عام ١٤٢٥هـ،
http: //www.minshawi.com/other/afify.htm

(٤) سورة الروم: ٢١.

التقوى والعمل الصالح.

والأسرة مظلّة إنسانية ضرورية لبناء النفس، وممارسة المعيشة الهانئة في الحياة. أمّا بناء النفس الإنسانية المتكاملة للرجل أو المرأة فيتمّ عن طريق الزواج الذي يشبع النزعات الفطرية، والميول الغريزية، ويلبّي المطالب النفسية والروحية والعاطفية والجسدية، وذلك من أجل التوصّل إلى تحقيق منهج الوسطية والاعتدال، دون حرمان من الإشباع الجنسي، ودون إباحية تؤدّي إلى الانحلال من الفضيلة؛ وأمّا ممارسة المعيشة الهانئة في الحياة فتحصل من خلال الأسرة التي توجد تجمّعاً صغيراً يبني أصول حياته ومعيشته بهدوء، ويحقّق تعاوناً بنّاءً وقويّاً في التغلّب على مشكلات المعيشة والمكاسب، وتخيّم فيها أجواء المحبّة والودّ والأنس والطمأنينة والسلامة.

إنّ الأسرة المسلمة، هي المعقل الأوّل الذي ينشأ فيه الطفل في جوّ التربية الإسلامية، وإنّ أهمّ أهداف تكوين الأسرة هي إقامة حدود الله: أي تحقيق الزوجين شرع الله ومرضاته في كلّ شؤونهما وعلاقاتهما الزوجية، وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذي يبني حياته على تحقيق عبادة الله، أي على تحقيق الهدف الأسمى للتربية الإسلامية. وهكذا ينشأ الطفل في بيت أقيم على تقوى الله فيقتدي بذلك إذ يمتصّ ويكتسب تلك العادات الأبوية السمحة من خلال المعايشة اليومية، ومن ثمّ يقتنع بعقيدتهما الإسلامية حين يصبح واعياً، إضافة لتحقيق السكون النفسي والطمأنينة؛ فإذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسي المتبادل، فحينئذ يتربّى الناشئ في جوٍّ سعيد يهبه الثقة والاطمئنان والعطف والمودّة، بعيداً عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية التي تضعف شخصيته أو تزرع فيه العنف والإرهاب، فعلى الأبوين تقع مسؤولية تربية الأبناء ووقايتهم من الخسران والشرّ والنار، التي تنتظر كلّ إنسان لا يؤمن بالله، أو يتّبع غير سبيل المؤمنين.

وظيفة الأسرة المسلمة:

الأسرة هي الأساس والأصل في تكوين البناء الإنساني روحياً وعقلياً وعقائدياً وجسدياً ووجدانياً وانفعالياً واجتماعياً، لذا نجد الإسلام حرص على هذا التكوين، وذلك ليضمن سلامة النسل من الأمراض الوراثية التي تنجب أولاداً معتوهين ومعوّقين، وكما اهتمّ بسلامة النسل عقلاً وجسداً قبل مولده نجده يبيِّن وظيفة الأسرة في البناء الروحي والعقائدي للإنسان بعد مولده في قوله – ﷺ –: "ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسَّانه"(١).

وتعدّ الأسرة بمثابة المؤسّسة والبيئة التربوية الأولى التي يعيش فيها الفرد ويتعلّم كثيرًا من أشكال السلوك(٢).

ولقد تكفّل الإسلام ببيان أحكام الأسرة مع الإشارة إلى أسرار التشريع مفصّلة تارة، ومجملة أخرى، في آيات وسور متعدّدة وأحاديث كثيرة، من إرث ووصية ونكاح وطلاق، وبيان أسباب الألفة ووسائل حسن المعاشرة، وشيّد صرح المحبّة بين أفرادها على تأسيس حقوق معلومة في دائرة محدودة، فمتى روعيت تلك الحدود عاشت الأسرة في أرغد عيش وأهنأ حياة، وحذّر من هدم الأسرة، وحثّ على تماسكها واتحادها، ونفّر عن كلّ ما يدعو إلى تفكّك عراها.

فإذا قام الأبوان بوظيفتهما كاملة في تنشئة أبنائهما على تشرّب روح التعاليم الإسلامية، وحرصا على تفادي عناصر التفكّك الأسري، فإنّ هذه الخلية ستكون صالحة، وتنبت رجالاً ونساءً صالحين، يسهمون في إسعاد أنفسهم وتقدّم مجتمعهم نحو الأفضل، وهذا ما تبرزه لنا الآية الكريمة في

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢) محمد عقلة، تربية الأولاد في الإسلام، عمّان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٩٠، ص: ١٥٧.

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1].

ويرى الشيباني[2]: أنّ أهمّ وظائف الأسرة التربوية هي: التربية الدينية، والتربية البدنية، والتربية الصحّية، والتربية العقلية، والتربية الجمالية، والتربية النفسية، والتربية الوجدانية، والتربية الروحية، والتربية الخلقية، والتربية الاجتماعية، والتربية السياسية للفرد المسلم.

وفي الأسرة يتمّ تشكيل الفرد وإعداده ليكون عضوًا في المجتمع الذي ينتمي إليه، فإذا كان هذا الإعداد طيّبًا صحيحًا، وقائمًا على أسس سليمة، كانت النتيجة خيرًا وصلاحًا للمجتمع[3]؛ أمّا إذا كان ذلك الإعداد مشوبًا بالشوائب، وقائمًا على الفوضى والإهمال واللامبالاة، فإنّ النتيجة ستكون شرًّا وخطرًا على المجتمع بأسره[4]؛ وهذا مبدأ قرآني يقرّره قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ﴾[5].

و"حتّى تقوم الأسرة بدورها التربوي بطريقة سليمة، وتتجنّب الأخطاء، وتعبر بالأبناء إلى برّ الأمان، عليها أن تقوم بتهيئة بيئة مستقرّة هادئة، غنيّة بالمثيرات الثقافية، بيئةٍ مشجّعة للطفل على التساؤل والتجريب والتصحيح، خالية من أنواع التمييز والتحيّز والتسلّط، بعيدةٍ عن القسوة والعقاب الصارم

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، منشورات جامعة دمشق، ط: ٢، ٢٠٠٢، ص: ٧٣؛ عمر محمد التومي الشيباني، من أسس التربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، ١٩٩٠، ص: ٥١٠.

(٣) صالح بن علي أبو عراد، مقدّمة في التربية الإسلامية، الدار الصولتية للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٢٤هـ، ص ٩١.

(٤) إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: ٢، ١٩٩٦، ص: ٦٨.

(٥) سورة الأعراف ٥٨.

الذي يؤذي شخصية الطفل"[1].

وعليه، فإنّ الأسرة من أهمّ مؤسّسات التنشئة الاجتماعية التي اهتمّ بها الإسلام، وعمل على دعمها والحفاظ على تماسكها، فإذا اجتمع الزوجان في إطار الأسرة على أساس العطف والرحمة والمودّة، فحينئذ يتربّى الناشئ في جوّ سعيد على أساس الثقة والاطمئنان والمودّة، بعيدًا عن القلق والعُقَد والأمراض النفسية، وهذا ما تسعى لتحقيقه التربية الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]، وإن تحقّق ما تقدّم، فذلك هو الضمان الأوّل والحماية والتحصين من التطرّف الفكري في المجتمع المسلم.

وبهذا تخرج البشرية من طور الفردية إلى رحابة الإنسانية لتدخلها من أوسع أبوابها، وهو باب التعارف الذي يقود إلى التعاون والتآزر وحرّية الحركة والتنقّل والفكر والتجارة، وغيرها من المصالح المرسلة بين الناس، وبضمان صلاح أفراد الأسرة، فإنّ المجتمع كلّه سوف يتّجه إلى الصلاح، وتنحسر مسبّبات العنف والآفات التي تنخر بعض المجتمعات، وتسهم في ارتفاع هجمة الإرهاب والتطرّف الفكري.

وبطبيعة الحال فهناك مسبّبات أخرى تؤدّي إلى زيادة ظاهرة التطرّف الفكري في مختلف المجتمعات على رغم أنّ البناء الأسري قد ظلّ على حاله دون زعزعة على امتداد عشرات بل مئات السنين. وهذه حقيقة مسلّم بها، إلاّ أنّ إسهام الأسرة يأتي بتعرّض أبنائها إلى طائفة من الأفكار الغريبة التي لم تكن متاحة من قبل، فدخول القنوات الفضائية وشبكة "الإنترنت" قد شكّل

---

(١) علي خليل ابو العينين، وآخرون، التربية ومشكلات المجتمع، جامعة الزقازيق، فرع بنها، كلية التربية، قسم أصول التربية، ٢٠٠٣، ص: ١٨٠.

(٢) سورة الروم: ٢١.

تدخّلاً سافراً في خصوصية الأسرة المسلمة، ومع إيماننا بأهمّية هذه العناصر وفائدتها إلاّ أنها أثبتت من الوهلة الأولى أنها سلاح ذو حدّين، إذا أسيء استخدامها فإنّها تؤدّي إلى نتائج وخيمة، وإذا أحسن التعامل معها والاستفادة من مخزونها المعرفي، فإنّها كنز لا غنى عنه لكلّ أسرة، وبالتالي فإنّ مسؤولية الوالدين تزداد أهمّية بمراعاة هذه العناصر الجديدة التي وفدت إلى بيوتنا، ولا بدّ من تكريس المزيد من الوقت لمتابعة نشاطات الأبناء، والحرص على عدم انجرافهم مع التيّارات التي تسعى في الأرض فساداً؛ علماً بأنّ الأسرة المسلمة مستهدفة بطريقة سافرة.

ولقد تكفّل الإسلام ببيان أحكام الأسرة مع الإشارة إلى أسرار التشريع مفصّلة تارة، ومجملة أخرى، في آيات وسور متعدّدة وأحاديث كثيرة، من إرث ووصية ونكاح وطلاق، وبين أسباب الألفة ووسائل حسن المعاشرة، وشيّد صرح المحبّة بين أفرادها على تأسيس حقوق معلومة في دائرة محدودة، فمتى روعيت تلك الحدود عاشت الأسرة في أرغد عيش وأهنأ حياة، وحذّر من هدم الأسرة، وحثّ على تماسكها واتّحادها، ونفّر عن كلّ ما يدعو إلى تفكّك عراها.

ويرى الشيباني(1): أنّ أهمّ وظائف الأسرة التربوية هي: التربية الدينية، والتربية البدنية، والتربية الصحّية، والتربية العقلية، والتربية الجمالية، والتربية النفسية، والتربية الوجدانية، والتربية الروحية، والتربية الخلقية، والتربية الاجتماعية، والتربية السياسية للفرد المسلم.

وبذلك فإنّ وظيفة الأسرة في الإسلام، إضافة إلى ما تقدّم، فإنّها تعتبر المنبع الذي يغذّي الطفل بالعقيدة الصحيحة والفكر المعتدل من القرآن

(1) عمر محمد التومي الشيباني، من أسس التربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، ١٩٩٠، ص: ٥١٠.

الكريم والسنّة النبوية.

مسؤولية الأسرة في الحدّ من التطرّف الفكري:

على الرغم من أنّه يمكن حماية ورعاية الطفل عن طريق المؤسّسات الاجتماعية الأخرى إلاّ أنّ حماية ورعاية الأسرة هي أكثر فعالية، وذلك لأنّ الأسرة مؤسّسة اجتماعية تجمع بين الاستجابة الشخصية الحميمة، والرعاية الاجتماعية المتماسكة(١).

وفي المجتمعات العربية الإسلامية نجد أنّ وظيفة الأسرة تمتدّ لتصل إلى روح الإنسان فتصقلها وتوجّهها الوجهة السليمة التي تتّفق مع فطرته التي فطره اللّه عليها، وإذا اتّفق التوجيه الأسري مع فطرة الإنسان، أدّى ذلك إلى صلاح الفرد باستقامته وأمنه النفسي والاجتماعي.

إنّ الإنسان يكتسب عادة الأساليب السويّة للسلوك والتفكير من خلال التفاعل الاجتماعي والاحتكاك بالآخرين، وأنّ الأبوين هما في العادة الأوائل الذين يقومون بعملية التطبيع الاجتماعي، فالطفل يستجيب للأبوين ويستجيبان له، وهذا من شأنه أن يزيد العلاقة الشخصية القائمة بين الطفل وأبويه.

إنّ ظهور السلوك المنحرف قد يأتي عن طريق تأثّر الأبناء بطبائع الآباء، أو بسبب الحرمان الشديد لمدّة طويلة، أو عدم استقرار الأسرة وسيطرة المشكلات والخصومات بين الأفراد؛ كما أنّ الأسرة هي أوّل مؤسّسة اجتماعية تتلقّى الطفل لإعداده وتنشئته طبقاً لمتطلّبات المجتمع الذي تعيش فيه، فشخصية الآباء ووجودهم، وأسلوب تنشئتهم من المحدّدات الأساسية في ظهور وتكوين السلوك السويّ أو المتطرّف، فالأسرة هي اللبنة الأولى في

(١) داود بورقيبة، مدخل إلى علوم التربية، المطبعة العربية، غرداية، ٢٠٠٩، ص: ٤٥.

المجتمع، وهذا يلقي عليها عبئاً كبيراً، ذلك أنّه إذا صلحت الأسر، صلح المجتمع، ولو حافظت الأسر على صلاحها استمرّ المجتمع في صورة صالحة؛ كما أنّ الأسرة هي المؤسّسة الاجتماعية الوحيدة التي تقوم على أساس عضويّ، وليس على أساس وظيفيّ، وهذا يعطيها فرصة نادرة لتخفيف الضغوط النفسية والمادّية على أفرادها[1].

الأسرة إذًا هي المسئولة عن توجيه الناشئ إلى مبدأ عقديّ أو فكريّ أو ثقافيّ معيّن، أو صرفه عن مبدأ عقديّ أو فكريّ أو ثقافيّ، وقد سبق وأشرنا إلى الحديث الذي يؤكّد أنّ المولود يولد على فطرة الإسلام، وبلغ من أثر الأسرة في توجيهه أنّ الأسرة تهوّده أو تمجّسه أو تنصّره بحسب ما ترغب هي في توجيهه إليه، إمّا عن طريق الأب أو الأمّ أو كليهما معاً.

وقد أكّد ابن القيم -رحمه الله- هذه المسؤولية، وتكلّم كلامًا مفيدًا نافعًا، فقال[2]: "قال بعض أهل العلم: إنّ الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده؛ فإنّه كما أنّ للأب على ابنه حقًّا فللابن على أبيه حقٌّ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الانسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[4].

إنّ مسؤولية الأسرة في استقرار المجتمع عظيم، فهي خطّ الدفاع الأوّل الذي يقف سدّاً منيعاً في وجه الأشرار، لكنّها لا تستطيع القيام بهذه المسؤولية الحيويّ إلاّ إذا كانت مترابطة في كيانها متينة في علاقاتها الداخلية

(١) داود بورقيبة، مدخل إلى علوم التربية، ص: ٥٢، مالك سليمان مخول، علم النفس الاجتماعي، منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٦، ص: ١٣٢.

(٢) ابن القيم، تحفة المودود في أحكام المولود، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص: ٢٢٩.

(٣) سورة العنكبوت: ٨.

(٤) سورة التحريم: ٦.

والخارجية؛ فعلى قدر ما تتمتّع به الأسرة من ترابط وتماسك بين أفرادها، على قدر ما تدرك الطريق السليم لتربية أبناءها وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين لمجتمعهم وأمّتهم.

إنّ من الجوانب التي يجب أن توليها الأسرة أهمّية كبيرة حتّى تستطيع أن تقوم ببمسؤوليتها ككيان أساسي في المجتمع هو التخطيط الأسري لحياة الأبناء ونشاطاتهم وممارساتهم، وبالأخصّ أثناء الإجازات والعطل الصيفية حتّى تتمّ الاستفادة من أوقاتها فيما يعود بالنفع على الفرد والأسرة والمجتمع، فهناك صلة وثيقة بين سوء استغلال وقت الفراغ لدى الأبناء، وعشرة قرناء السوء والوقوع في الانحراف وسوء السلوك؛ فيجب الاهتمام بحسن استغلال وقت الفراغ بالسفر أو الأنشطة الرياضية والثقافية والاجتماعية المفيدة.

إنّ الأسرة من منطلق حرصها على التنشئة الاجتماعية السليمة وحسن استغلال وقت الفراغ والتفاعل بجدّية مع مؤسّسات المجتمع المختلفة، تسهم بشكل حيويّ في صناعة الفرد الصالح في المجتمع، والفرد الصالح في المجتمع أمان للمجتمع في حاضره ومستقبله.

ويمكن الحديث عن مسؤولية الأسرة في هذا المجال في العناصر الآتية:

١- غرس تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة والقيم المعتدلة في الأبناء:

إنّ الإسلام هو الدين العظيم، كفل للبشرية النجاة والرفعة في الدنيا والآخرة إذا فقهوه وطبّقوا شريعته، وأحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه لأنّه منزّل من خالق الإنسان، والصانع أدرى ما يكون بصنعته فما بال الخالق بخلقه.

وهنا تأتي مسؤولية التربية الأسرية، وهي تبني المسلم الحقّ، وتعدّه، فهو ليس مكوّنًا من جسم وعقل فحسب، بل تربّيه على أنّ له قلبًا يخفق، وروحًا تهفو، ونفسًا تحسّ، وأشواقًا عليا تدفعه إلى السموّ والاستغراق في عالم العبادة، والتطلّع إلى ما عند الله من نعيم، والخشية ممّا لديه من أنكال وجحيم.

وإذا تأمّلنا صفحات القرآن الكريم، نجد أنّ الرسل والأنبياء عليهم السلام يعنون عناية كبيرة بسلامة عقيدة أبنائهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[(١)]، وهذا لقمان يرعى ابنه فيوصيه: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[(٢)].

وهنا ترتكز التربية الأسرية على الفرد بالعناية بروحه ليقبل على صقلها بالعبادة ومراقبة اللّه محتذيًا بذلك برسول اللّه – ﷺ –[(٣)].

وعلى التربية الأسرية أن تعلّم الفرد تقوية الروح وإصلاح النفس، وأنّ الطريق إلى ذلك هو العبادة، كتلاوة القرآن عن أناة وتدبّر وخشوع، والصلاة القويمة المستكملة شروط الصحّة، وحضور الذهن، وغير ذلك من ألوان العبادة والرياضة الروحية، مدرّبًا نفسه على القيام بهذه الطاعات، بحيث تصبح دنياه وعاداته وسجاياه التي لا مكان لها ولا انفصام منها[(٤)].

ويجب أن تكون التربية الأسرية موضّحة لمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضية الإسلام والمروق منه، حتّى لا يقع الفرد ضحيّة لتلك الجماعات التكفيرية، التي تحاول أن تضرّ بالمسلمين، اعتقادًا منهم أنّ ذلك هو طريق الصواب وتكون المرجعية عند من يعتقدون بأنّ لديهم القدرة على الفتوى الشرعية، ولكن هنا تبرز مسؤولية التربية الأسرية التي توضّح للأبناء

(١) سورة البقرة: ١٣٢.
(٢) سورة لقمان: ١٦.
(٣) محمد نور عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، دار ابن كثير، دمشق، ط: ٣، ٢٠٠١، ص: ٢٠٧.
(٤) إبراهيم مبارك الجوير، أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حلّ المشكلات الاجتماعية، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ، ص: ٢٢– ٣٠.

نهج القرآن الكريم والسنّة النبوية التي تعتمد في أساليب الدعوة على الحكمة والموعظة الحسنة ومخاطبة الناس بالأسلوب المناسب لهم تنفيذًا للتوجيه الرباني، في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾[2]؛ والأخذ بمنهج الرسول – ﷺ – في جميع شؤون حياته فقد قال: "ما كان الرفق في شيء إلاّ زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه"[3].

٢– إشباع احتياجات الأبناء:

ترتبط احتياجات الأفراد بخصائص المرحلة العمرية والأوضاع الاجتماعية التي يعيشونها، والتي تجعل لهم طبيعة خاصّة، ولكي يؤدّي الأبناء الواجب المطلوب منهم، يجب أن تتفهّم تلك الاحتياجات، وتوفّر سبل إشباعها.

ويعرِّف علماء النفس الحاجة بأنّها[4]: حالة من النقص والافتقار والاضطراب الجسمي والنفسي، إن لم تجد إشباعًا أثارت لدى الفرد نوعًا من التوتّر والضيق لا يلبث أن يزول متى أشبعت الحاجة.

وترى نظرية الحاجات، أنّ الحاجة هي الدافع وراء كلّ سلوك، وكلّ إنسان له عدد من الحاجات التي توجّه سلوك الإنسان من أجل إشباعها، وإذا لم تشبع يترتّب على ذلك خلل يؤثّر في صاحبها[5].

وكذلك نجد أنّ عملية التنشئة تؤدّي وظيفة مهمَّة في تشكيل سلوك الإنسان، ومن ثمّ شخصيته الإنسانية، ولذلك تكون الذات والشخصية نتاجًا

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) رواه مسلم: البر والصلة والآداب: ٢٥٩٤.

(٤) داود بورقيبة، مدخل إلى علم النفس: رؤية إسلامية، رياض العلوم، الجزائر، ط: ١، ١٤٢٧هـ، ص: ٩٨.

(٥) داود بورقيبة، مدخل إلى علم النفس: رؤية إسلامية، ص: ٩٩.

اجتماعيًا يتكوّنان من تفاعل الإنسان مع البيئة في مراحل عمره المختلفة.

وبناء عليه، فإنّ الخلفية الاجتماعية والنفسية للفرد، لها أهمّية كبرى في تحديد أنماطه السلوكية وتفاعله الاجتماعي مع الآخرين.

ويجب على الأسرة أيضًا تأصيل وتعميق قيم الانتماء لدى أفرادها والتي تعدّ من الحاجات الأساسية للنموّ النفسي والنموّ الاجتماعي، وهذا يدفع الوالدين إلى ضرورة عدم الإتيان بأيّ أفعال من شأنها أن تشعر الأبناء بأنّهم غير مرغوب فيهم وإهمالهم وتوبيخهم ونبذهم بصورة متكرّرة، فلمثل هذه الأفعال أثر سيّئ في التكوين النفسي والاجتماعي للأبناء والصحّة النفسية للفرد في مرحلة تالية بصفة عامّة، ممّا تجعل الفرد يحاول أن ينتمي إلى جماعات وعصابات يحاول بها إشباع شعوره بالانتماء والألفة لتلك العشرة والتوافق والانسجام عند التعامل، وكلّما انعزل الفرد عن أسرته أو ابتعد عنها، ازداد شعوره بالحاجة إلى تلك الجماعات البديلة التي يجد فيها ما افتقده وتعويضه ذلك، وتقوم بنقل قيم ومعايير الجماعة في شخصية الفرد والتي تعارض قيمًا ومبادئ اجتماعية ودينية في المجتمع بحيث تدفع الفرد إلى أن يقوم بسلوك اجتماعي يتّسق مع قيم ومعايير الجماعة التي لا تعطي على الأقلّ أهمّية للالتزام بقيم ومعايير المجتمع الأساسية.

ولا عجب أن وصل بعض الباحثين إلى حقيقة أنّ طول الزمن والانتباه اللذين يستثمرهما أولياء الأمور في التعامل مع أبنائهم يرتبط ارتباطًا عكسيًا بأثر جماعة الرفاق على السلوك، بمعنى أنّ الوالدين وباقي أعضاء الأسرة إذا ما تفاعلوا مع الشباب لوقت أطول وبانتباه مركّز، يؤدّي ذلك إلى اضمحلال تفاعل الشاب مع رفاقه، وبالتالي إلى أن تكون علاقته بالجماعة علاقة سطحية لا تعرّض الشابّ إلى الانحدار في مزالق الجنوح والجريمة(١).

---

(١) محمد إبراهيم السيف، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، الرياض، دار الخريجي للنشر، ٢٠٠٣م، ص: ٤٥.

٣- تكوين الاتجاهات الإيجابية نحو العمل بصفته قيمة، وشغل وقت فراغ الأبناء:

تؤدّي الأسرة المسؤولية العظمى في حياة الفرد، ويكتسب من خلالها كلّ القيم والمعايير، وبها يبدأ أوّلاً بتعلّم الاتجاهات، وكما تشير عدد من الدراسات النظرية(١) حول هذا الموضوع من أنّ الوالدين هما المؤثّر الأساسي في تكوين الاتجاهات، وذلك من خلال التواصل معهما، وأيضًا من خلال التربية الأسرية، وبالتالي ينطبق ذلك على الاتجاه نحو التعليم والعمل، وإبراز قيمته وأهمّيته سواء كان لإشباع حاجات الإنسان، أو لتحقيق الذات، أو لتحقيق المكانة، ويتمّ ذلك من خلال تبصير الإنسان عمليًّا أو شفهيًّا أو سمعيًّا أو بصريًّا من خلال جميع الوسائط التربوية المسموح بها، وفق السياج الثقافي والاجتماعي للمجتمع الذي ينمّي اتجاهات الأبناء من مختلف الأعمار نحو اكتساب المهارات الحرفية والتدريب على ممارستها، حتّى لا يتكوّن لدى الفرد وقت فراغ زائد، بحيث لا يجد ما يشغله بطريقة صحيحة، فأوقات الفراغ تعدّ تربة صالحة لاستنبات السلوك المنحرف والمتطرّف، وخاصّة حينما يساء استغلالها، ذلك أنّها تهيّئ الفرصة للاختلاط والرفقة السيّئة من ناحية، وللتعرّض لاكتساب العادات السيّئة والرذيلة التي يشغل بها بعض الشباب أوقات فراغهم من ناحية أخرى(٢).

وهنا يكون مسؤولية التربية الأسرية في محاولة شغل وقت فراغ الأبناء بما يفيد فقد تسهم أنشطة الفراغ بالاتصال والتكامل الأسري عندما تتوحّد الأنشطة بين الوالدين والأبناء، وأيضًا توجيه الأبناء نحو ممارسة الأنشطة

(١) توفيق مرعي، التوعية والإرشاد النفسي، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٤م، محمد الحيلة، التربية المهنية وأساليب تدرسها، عمان، دار المسيرة.، ١٩٩٨م.

(٢) محمد حامد يوسف، المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بمشكلة الإرهاب، جامعة حلوان، المؤتمر العلمي الثامن لكلية الخدمة الاجتماعية، ١٩٩٥م.

الترويحية المرغوبة خاصّة بالإجازات المدرسية كالرياضة وارتياد المكتبة وحفظ القرآن الكريم والأنشطة الثقافية والمسرحية والمشاركة في الجمعيات العلمية والرحلات، وذلك عن طريق المراكز أو الأندية ويكون ذلك تحت عناية ورعاية أسرية.

وأيضًا يجب أن تغرس التربية الأسرية في الفرد منذ طفولته أهمّية العمل وقيمته، وأن يتقبّل العمل مهما كان نوعه وتزيل جميع التحفّظات حول التعليم المهني والصناعي.

والسنّة النبوية المطهّرة عامرة بخير هدي وأعظم إرشاد في حديث رواه أبو هريرة عن الرسول – ﷺ – أنّه قال: "والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبلا ويحتطب على ظهره خير، من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه"(١).

وبالتالي فإنّ التربية الأسرية عندما تشجّع الأبناء على العمل أيًّا كان نوعه، فتبعد بذلك أبناءها عن التعرّض للفراغ الذي يدفع بالشباب إلى الالتحاق بالجماعات المتطرّفة، مستغلّين وجودهم بلا عمل أو مورد رزق، فالإنسان العاطل الذي ليس له مورد رزق ثابت، يجد فراغًا غير محدود في وقته، يؤدّي إلى حالة من الإحباط الوقتي تعطي القائمين على تلك الجماعات منفذًا سهلا لجذبه بحجّة انتشاله من ثالوث البطالة والفراغ والفقر بعد إغراقه على أمر يطالبه.

٤- التربية على الشورى واحترام الرأي عند التعامل مع الأبناء:

الحرّية هي الحالة التي يستطيع فيها الأفراد أن يختاروا ويقرّروا ويفعلوا بوحي من إرادتهم، ودونما أيّ ضغوط من أيّ نوع عليهم، كما تشمل حرّية

(١) رواه الإمام البخاري في الزكاة: ١٤٠١.

الإنسان وكرامته لكونه مسؤولاً عن أفعاله أمام الله وأمام الشرع، مستهدفاً بذلك حماية النفس والمال والعرض والكرامة الإنسانية بشكل متوازن.

وحرّية الرأي: "حرّية التعبير عن الأفكار، فالناس بحاجة للمناقشات لتبادل الآراء حتّى يتمكّنوا من التواصل والتوصّل إلى قرارات مبنيّة على المعرفة في شؤون حياتهم السياسية، والاجتماعية، وحرّية التعبير"[1].

وتأخذ حرّية الرأي بعض الصور منها: أسلوب المناقشة وأدب الحوار، وطريقة اتخاذ القرار، ومهارات الاستماع والمناقشة، واحترام الرأي الآخر (معارضًا أو ممثّلاً وجهة نظر مختلفة)، والتعبير عن الرأي وفق معايير محدّدة.

وتدريب الفرد في مراحل العمر المختلفة على آداب الحوار والقدرة على الاستماع والاستيعاب للرأي الآخر والتدريب على ممارسة حرّية الرأي ما يقدره على تحمّل المسؤولية، ويمكن إشباع ذلك أيضًا عن طريق تشجيع الأبناء على الاشتراك في جمعيات الخطابة والصحافة المدرسية.

أمّا الديمقراطية التي تعدّ أسلوبًا للممارسة في الحياة الأسرية، فإنّنا نعني بها روح التسامح، وأسلوب التعامل المرن الذي يقدّر المواقف، ويعترف بالإمكانات، ويقدّم النصح والمشورة في قالب التوجيه والإرشاد بشكل لا يُفْرط في التشدّد، ولا يفرِط في التسيّب.

إنّ مناخ الأسرة التي تنتهج أساليب التنشئة الاجتماعية السليمة هي التي يسودها جوّ من الوئام، والتماسك، والتفاهم، والهدوء المصحوب بالوعي بكلّ أبعاد الموقف الاجتماعي داخل الأسرة وخارجها، من أجل المحافظة على قوامها بشكل ينمّي لدى أبنائها أسلوب التسامح مع الآخر، والعفو عند المقدرة، والقبول بالاختلاف في الرأي، والمساواة بين الجميع، وأن يحترم الصغير الكبير، وأن يعطف الكبير على الصغير، ويتعامل الجميع دون تفرقة بين

(١) الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسّسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ج٩، ص: ٢٩٩.

أفراد الأسرة، حتّى يشبّ الجميع في بيئة صحّية خالية من الاضطرابات النفسية.

وفي هذا الصدد يمكن تعريف التربية الديمقراطية: بأنّها نظام اجتماعي يؤكّد على قيمة الفرد وكرامته، وشخصيته الإنسانية، ويقوم على أساس مشاركة أعضاء المجتمع (أو الأسرة) في إدارة شؤونهم، وتتّخذ المشاركة فيه أنماطًا مختلفة(١).

وتعني الديمقراطية بصورتها الحديثة حرّية الفرد، مشتملة على المواطنة والحقوق والمسؤوليات، من أجل النهوض بالوظائف التي يختارها الفرد دون تفرقة في التعليم، ودون النظر للخلفية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، أو العرقية، أو الجنس، أو اللون. وأنّها تعني الحقّ في الحياة، والتعبير عن الرأي دون معوّقات أو تهديد، وأن تختار الشعوب مصيرها(٢)، حتّى لا ينشأ لدى الأفراد تعصّبٌ بالرأي بل يسمع الرأي الآخر ويحاول أن يقتنع به إذا كانت التفسيرات التي أمامه مقنعة.

فالأسرة بقيمها الديمقراطية تنتج جيلاً ديمقراطيًّا متسلّحًا بالقيم التي ترفض التسلّط والاستبداد، وتعزّز مفاهيم الخير والأمن، وتتمسّك بقيم العدالة، وتنادي بحقوق الإنسان وفق القنوات السليمة المستمدّة من الشريعة الإسلامية، وتعمل على احترام الحقوق والواجبات وتؤمن بالتعايش السلمي واحترام الأقليّات ونبذ العدوانية، وحلّ الخلافات بالحوار والمناقشة.

وبمعنى آخر فالتربية الأسرية هي صانعة الديمقراطية والديمقراطيين، فهي أساس الحياة ونبذ التعصّب. والتربية الأسرية نواة التربية المجتمعية، لأنّها

---

(١) فاطمة نزر، التنشئة الديمقراطية كما يدركها الوالدان والأبناء في الأسرة الكويتية، الكويت، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد (٢٩) العدد (٤)، ٢٠٠١م، ص: ٦٠.

(٢) فاطمة نزر، م.ن، ص: ٦٠.

قلب الديمقراطية في المجتمع[1]، بل إنّ تلك التربية الأسرية التي تعتمد على حرّية الرأي والديمقراطية تربّي لدى الفرد القدرة على إبداء وجهات نظره، وامتلاك الوعي والإدراك ضدّ بعض صور التطرّف؛ وبالتالي يستطيع الفرد الابتعاد عن الجماعات المتطرّفة، وعن الفكر المتطرّف، لأنّه تكوّن لديه مانع دفاعي وهو الحرّية والكرامة التي ساعدت التربية الأسرية ووسائطها في التكوين السليم الواعي لها.

(١) فاطمة نزر، م.ن، ص : ٨٨.

المطلب الثالث

المسجـد

للمسجد أهمّيته الكبرى، ومنزلته العظيمة في المجتمع المسلم، وقد نوّه القرآن الكريم بالمسجد ومكانته، والمثوبة الكبرى للمشتغلين بعمارته، فقال عزّ وجلّ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ. رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١]، وقال عزّ من قائل: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[٢].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أنّ النبيّ – ﷺ – قال: "أحبّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"[٣].

فالمسجد بوتقة لا بدّ منها، لتنصهر فيها النفوس، وتتجرّد من علائق الدنيا، وفارق الرتب والمناصب، وحواجز الكبر والأنانية، وسكرة الشهوات والأهواء، ثمّ تتلاقى في ساحة العبودية الصادقة لله عزّ وجلّ بصدق وإخلاص.

أهمّية المسجد في الإسلام:

ينظرُ الإسلام إلى المسجد نظرة خاصّة وهامّة، من حيث اعتباره ميداناً واسعاً، ومكاناً رحباً، يُعْبَدُ اللّهُ تعالى في أرجائه، ويطاع في سائر نواحيه

(١) سورة النور: ٣٦–٣٨.
(٢) سورة التوبة: ١٨.
(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه: المساجد ومواضع الصلاة، ٦٧١.

وأجزائه، ولذا منحه فضائل فريدة، وميَّزَه بخصائص عديدة، باعتباره منطلق الدعوة إلى الخالق جلّ وعزّ ومركز الإشعاع الأوّل، الذي انطلقت من جنباته أحكام التشريع، وانبعثت من ردهاته أشعّة الإيمان، ولقد عَظَّم الإسلامُ المسجد وأعلى مكانتَه، ورسَّخَ في النفوس قدسيتَه، فأضافه اللّهُ تعالى إليه إضافةَ تشريفٍ وتكريم فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[1]، فالمسجد يحتلّ مرتبةً مميّزة ومعظّمة في أفئدة المسلمين، تزكو به نفوسُهم، وتطمئنّ قلوبُهم، وتتآلف أرواحهم وتصفو أذهانُهم، يجتمعون فيه بقلوبٍ عامرةٍ بالإيمان، خاشعة متذلّلةٍ للخالق الديّان، فرسالة المسجد شاملة ومتنوّعة، وضافية ومتعدّدة، تنتظم مجالاتٍ مختلفة لنشر القيم الإسلامية، وغرس الآداب والأخلاق الحميدة، وإبراز سموّ الإنسان وكرامته، والحفاظ على وجوده وحياته، وتقويم سلوكه، وإشعاره بالأمن والطمأنينة من خلال الأدوار المتعددة، والمجالات المختلفة التي يضطلع بها المسجدُ لتحقيق الأمن الاجتماعي، وتوفير الطمأنينة النفسية والروحية، التي تخفّف عن الناس أعباءَ الحياةِ وآلامها، وتكبحُ فيهم جموح الغرائز وشهواتها، وترسّخ أواصر المحبة، وروابط الألفة بين الأفراد، وبسط الأمن الوارف في ربوع المجتمع، ونشر الاستقرار والاطمئنان في أرجائه، وتوطيد قواعده، وتثبيت دعائمه[2].

المسجد مصدر الاعتدال:

للمسجد قدسية خاصّة، ففيه آياتُ القرآن الكريم، ويسمع في أنحائه كلُّ ما يطهّر القلوب، ويصفّي النفوس، وينقّي الأفكار والأذهان، ويزكّي الأرواح ويهذّبها، ويغذّيها ويشحنها بروح اليقظة الإيمانية، والاستقامة السلوكية؛ فكلّما ازداد تردّد المسلم على المسجد، كلّما ازداد تعلّقًا به،

---

(١) سورة التوبة: ١٨.

(٢) مالك سليمان مخول، علم النفس الاجتماعي، ص: ١٦٦.

والتصاقًا بخالقه، فحاسب النفس وابتعد عن النوازع العدوانية، والدوافع الإجرامية.

إنّ الفرد حين يلتصق بالمسجد التصاقًا وثيقًا، ينعكس أثر ذلك إيجابًا على المجتمع بأسره، حين يتلقّى في المسجد معاني الفضيلة وسمات الصلاح وقيم الإسلام السامية، التي تشيع في النفوس الاطمئنان، فتستقيم على المنهج الحقّ، وتنحسر فيها دواعي الشرور والإفساد، والتفكير في دروب التطرّف بمحافظته على الصلاة فهي مصدر الأمن والاستقرار، وينبوع السعادة والاطمئنان ونهر الوسطية والاعتدال.

فالعبادة تأطرها على أن تكون منبع خير وأمان، ومصدر ضبط واعتدال واتزان، فإذا اصطبغت بذلك نفوس المصلّين، وأصبح سلوكها تبعاً للوحي الإلهي، والنهج القرآني، سار المجتمع بأفراده على الصراط السويّ، وسلم من كلّ ما يعكّر صفوه، أو يثير في أوساطه ما يزعزع استقراره، وبذلك يظهر الأثر القويّ، والمسؤولية الحيوية للمسجد في ترسيخ دعائم الوسطية، وتوطيد قواعد الاستقرار في ربوع المجتمع، فالصلاة ذات أثر مباشر في تقويم سلوك الأفراد، وهي وسيلة فاعلة للوقاية من الانحراف والجريمة والتطرّف.

خطبة الجمعة:

إنّ خطبة الجمعة مشكاة من النبوّة، ومنبع من النور والتقى، ومنارة حقّ للأمن والسلام والهدى، فمسئوليتها في حياة المجتمع المسلم واضحة لا تخفى، وراسخة لا تُنسى، فهي الدعامة الأولى، والركيزة الكبرى لتحقيق الأمن الاجتماعي، وتعميق الوحدة ونبذ الفرقة، وتغذية الأمّة بالتوجيه الروحي والفكري، ولئن كانت تلكم المعاني ثابتة لمن تأمّل خطبة الجمعة، إلا أنّها لن تكون ذات أثر فاعل إن لم يكن القائم بها على قدر من المسؤولية والقدرة على إبراز تلك المعاني وإظهار القيم السامية لمسئوليتها المؤثّرة في حياة الفرد والمجتمع.

فالمسجد يتوافد عليه في يوم الجمعة أعداد كبيرة لسماع الخطبة والإنصات لها، لذلك فهم يحتاجون إلى التذكير والتنبيه، واستغلال حضورهم للإرشاد والتوجيه، ومعالجة مشكلات المجتمع، والإسهام في إصلاح الحياة العامّة، وإعادة الفرد إلى قواعد الدين ومبادئه وإشاعة روح المودّة والإصلاح بين الناس، وإنّ خطيب المسجد وإمامه أشدّ فاعلية، وأكثر وقعاً في نفوس الجماهير، من أيّ وسيلة أخرى يمكن أن تؤثّر في المجتمع.

وخطيب الجمعة يقتلع جذور الشر في نفس المتطرّف، ويبعث في نفسه خشية الله تعالى، وحبّ الحقّ، وقبول العدل ومعاونة الناس وإصلاح الضمائر، وإيقاظ العواطف النبيلة في نفوس الأمّة، وبناء الضمائر الحيّة، وتربية الروح على الآداب الفاضلة والأخلاق الحميدة، وتسكين الفتن، وتهدئة النفوس، فهو يستقي التوجيهات من كتاب الله وسنّة رسوله – ﷺ –.

ولكي تكون خطبة الجمعة قوية لها أثرها البالغ، اعتنى العلماء والفقهاء بها العناية الفائقة، وذكروا عوامل رئيسة لنجاحها و عظيم فائدتها..

ولا يمكن أن ينجح الخطيب في أداء مهمّته على الوجه المطلوب، إلاّ إذا استطاع الأخذ بألباب سامعيه، بالأسلوب البليغ، والحجّة الظاهرة، والخطبة الباهرة، والإثارة والتشويق؛ وأنّى للخطيب أن يفيد إن لم يراعِ مقتضى الحال، فلكلّ مقام مقال، فيجدر به مواكبة الأحدث، ومسايرة الوقائع، وملائمة موضوع الخطبة للأحداث الجارية، والملابسات الواقعة، فالكلام في حال الأمن يختلف عنه في حال القلق، واختلاف الظروف وتقلّبات الأحوال تتطلّب من الخطيب أن يكون فطناً مسايراً لما يحدث حوله، وأن لا يكون في وادٍ، وحال المجتمع في وادٍ آخر، كأن يكون بعيدا عن تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، وردّ الشبهات والأباطيل التي يثيرها خصومه لبلبلة الأذهان، ومواجهة الأفكار الهدّامة والمضلّلة، بتقديم الإسلام الصحيح، وإبراز

خصائصه من السماحة والشمول والتوازن والعمق والإيجابية. فيجب لتحقيق الهدف المنشود من الخطبة، ربطها بأحداث المجتمع، وبالواقع الذي يعيشه الناس، والتركيز على علاج أمراض المجتمع، وتقديم الحلول لمشكلاته. كما يجب تثبيت معنى الأخوّة الإسلامية، ومقاومة النزعات والعصبيات العنصرية المفرّقة للأمّة، المشتّتة لشملها، والمثيرة للأحقاد والبغضاء.

مسؤولية الخطباء في ترسيخ مبادئ وحدة المجتمع:

ينبغي لخطباء المساجد التركيز على أمن المجتمع واستقراره وإشاعة السلام والطمأنينة في سائر أرجائه، وتخليصه من أسباب الفرقة وبواعث الشرّ والخلاف، ومن أهمّ ما ينبغي طرقه وتذكير الناس به، والتعرّض له بين الفينة والأخرى، وبالأخصّ في أوقات المحن والشدائد، كما يجب عليه أن يحفز المصلين على تقوية إيمانهم وترسيخه في قلوبهم، ليثمر الشعور بمراقبة الله تعالى، وخوفَهم من عذابه، وأليم عقابه، ويدعوهم إلى الاستقامة السلوكية، وتصحيح المواقف، وتحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع الشرور والمفاسد بالتأكيد على الضمانات الأمنية والوسائل الكفيلة بترسيخ أمنه والمحافظة عليه التي من أهمّها طاعةُ ولاة الأمر، فهي أصلٌ مهمٌّ وقاعدة كبرى، ومنهج واضح، وأساسٌ قوي لتحقيق الأمن الاجتماعي، واستقرار البلاد، واطمئنان الرعية بوجوب طاعة ولي الأمر، وتحريم عصيانه أو الخروج عليه بتكفيره أو غير ذلك، ففي الطاعة اجتماع لكلمة المسلمين، وفي العصيان فسادٌ للأحوال في الدارين، وما نزعت يد من طاعة إلاّ وصافحها الشيطان، فالعاقل يدرك خطورة عصيان ولاّة الأمر والخروج عليهم، وما يجلبه من شرور عظمى، وأخطار ومفاسد كبرى ويعلم ما في الطاعة من الخير والهدى، وتحقيق السعادة، واستتباب الأمن، وترابط المجتمع وتماسكه، ونصرة المظلوم، ودحر الباطل والجور، والعناية بمصالح العباد والبلاد، وحماية الحياة الاجتماعية من

الفوضى والاضطراب، والأخذ على أيدي السفهاء والعابثين وردع البغاة والمجرمين.

إنّ طاعة وليّ الأمر، واحترام شخصيته وهيبته، ممّا هو واجب على الرعية لما في مخالفة ذلك من نشر المفاسد، وإثارة الفتن والقلاقل ممّا لا يمكن ردّه ولا دفعه، فذوو العقول السليمة، والفطر المستقيمة يدركون أهمّية الطاعة، ويقدّرون العواقب، طريقهم طريق الحقّ والهدى، ويلتقون على الخير والرشاد والتقوى، وينأون بأنفسهم عن مواطن الشرّ والأذى، ويحذرون من مزالق الرذيلة والهوى، وطريق المؤمنين حفظ ألسنتهم، والاحتكام إلى كتاب ربّهم، وسنّة نبيّهم – ﷺ –، وإنَّ طَرْقَ موضوع وجوب طاعة ولاة الأمر، من أهم ما يجب أن يذكّر به الخطيبُ المصلّين بين الحين والآخر، وأن يؤكّد عليهم الالتزام بالطاعة، وأنّ التفاف الأمّة حول قيادتها دليلُ وحدتها، وطريق فلاحها، وسبيل رقيّها ونهضتها ونجاحها، ومصدر عزّتها ومنعتها، ومعاونة ولاة الأمر في أداء مهمّتهم، ومساعدتهم في حماية المجتمع من المفاسد والشرور، من أهمّ ما يلزم الرعية.

مسؤولية الخطباء في ترسيخ العقيدة الصحيحة:

على خطيب المسجد، أن يعنى بترسيخ معنى الوحدة في نفوس المصلّين، وتعميق أواصر المحبّة بينهم، ويذكّرهم بأنّ الإسلام اعتمد الأخوّة دعامةً لوحدة المجتمع، وركيزة للترابط بين أفراده، فلا يسمح الإسلام بقيام أفكار أو أحزاب أو تجمّعات من شأنها تمزيق وحدة المجتمع، وتبديد قوّته، وتفريق كلمته، أو بروز خلافات ينتج عنها التناحر، أو تسفر عن القطيعة والتناحر، فذلك شرٌّ عظيم، وخطر جسيم، ينتج عنه الكثير من الأحداث المروّعة، والمآسي المفجعة ويزعزع أمن المجتمع، ويؤدّي إلى قلقه واضطرابه، وإنّ مسارعة الخطيب أو الإمام إلى إزالة أيّ خلاف قد تظهر بوادره من أبرز ما

يجب أن يضطلع به، فيبادر إلى الإصلاح بين الناس في خصوماتهم وإزالة خلافاتهم، وتوطيد علاقاتهم الأخوّية، وترسيخ دواعي الألفة والانسجام، لأنّ ذلك من أقوى دعائم ترسيخ أمن المجتمع، وضمان الاطمئنان والحياة السعيدة، وعليه أن يذكّرهم بأنّهم وحدة قائمة، متشابكة متآلفة، كلّ عضو منه يعمل في سبيل مصلحة الجميع، على نحو قول المصطفى – ﷺ –: "مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى"[1].

وإنّ دعوة الإسلام إلى الوسطية والاعتدال ونبذ الغلوّ والتطرّف الفكريّ من أهمّ ما يجب أن يتحدّث عنه الإمام والخطيب في المسجد، ومن أبرز ما يجب أن يوضّحه للناس، وأن يكشف لهم وسطية الإسلام واضحة في سائر تشريعاته، وأنّ على جميع أفراد المجتمع أن يستشعروا منهج الإسلام الرصين في دعوته إلى التوازن والاعتدال، والواقع يشهد أنّ المغالين والمتنطّعين أضيق الناس صدراً، وأشدّهم قلقاً واضطراباً وأكثرهم غضباً وغلياناً، وربّما عمدوا إلى استخدام القوّة لحمل الآخرين على موافقتهم في آرائهم، وسلوك منهجهم، وقد انزلق البعض في هذا المسلك، حيث سرى في أوساط فئة من الشباب في بعض البلاد الحكم بكفر فلان، أو وصفه بالفسق أو نحو ذلك، وهذا له آثار سيّئة تجرّع المجتمع آلامها وغصصها، وعاشت الأمّة محنها وشرورها، فقد زاغت قلوب تلك الفتن، وطاشت عقولهم وانحرفت أفهامهم ورغبت أنفسهم عن سلوك المنهج الحقّ وأطلقوا لألسنتهم العنان في الحكم على الآخرين بما يرونه، وإخراجهم عن دائرة الإسلام اعتماداً على الأقاويل والشائعات، والشكوك والظنون، والأخبار الكاذبة، والمصادر الواهية.

(١) رواه الإمام مسلم.

مسؤولية الخطباء في ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال لدى الشباب:

للخطيب أثر فاعل في توجيه الناس وبالأخصّ الشباب للزوم المنهج الحق، والاستقامة على شرع الله وأمره وصراطه المستقيم، وتقوية الوازع الديني، وإيقاظ الضمير، وتزكية النفس، وبيان محاسن الاستقامة، ومساوئ الانحراف. وعلى الإمام أن يوضّح لهم حفظ الإسلام للضرورات الخمس الدين، والنفس، والعقل، والعرض والمال وحمايته لها، وتحذيره من العبث بها والاعتداء عليها، وأنّه قرّر عقوبات جزائية رادعة للنفوس المريضة المعتدية، تمنع تصرّفاتها الطائشة التي تتحكّم بها الأهواء الفاسدة، والأفكار المنحرفة والنفس الأمّارة بالسوء، وأنّ تلك العقوبات شرّعت لسدّ منافذ الجريمة، وإغلاق أبواب العدوان.

إنَّ على الخطيب مسؤولية كبرى في توعية الناس والشباب خاصّة، بالضوابط الأمنية المحكمة التي قرّرها التشريع الإسلامي لحفظ المجتمع من الجريمة، ووقايته من الانحراف، ومحاربة الأعمال الإرهابية، والتصرّفات الشاذّة التي تسعى إلى الخروج على النظام العامّ، والإخلال بالأمن، وسفك الدماء، وسلب الأموال، وتدمير الممتلكات، وإثارة الفتن، وتفريق جماعة المسلمين، والعبث بأمن المجتمع واستقراره بدعوى التكفير أو غيره، وإنّ كل مخالفة لما جاء في أحكام الشريعة الإسلامية، يعتبر تعدّياً، وانتهاكاً صارخاً لقدسيتها، يستوجب العقوبة الحاسمة التي قرّرتها، حتّى تستأصل من المجتمع دواعي الإجرام، ومسبّبات الفتنة، وبواعث القلق، ويعيش الجميع في ظلال الإسلام، في أمن وأمان، واستقراره وراحة واطمئنان.

توصيات واقتراحات البحث

وفي ختام هذا البحث، يوصي الباحث بما يأتي:

- **أولاً : الأسرة:**

١- حسن اختيار الزوجين على أساس الدين من أجل الفهم الحقيقي للإسلام، والتطبيق العملي السلوكي لكلّ فضائله السامية، وآدابه الرفيعة. ولقد أرشد النبيّ صلوات الله وسلامه عليه راغبي الزواج بأن يظفروا بذات الدين، لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حقّ الزوج، وأداء حقّ الأولاد، وأداء حقّ البيت على النحو الذي أمر به الإسلام، وحضّ عليه الرسول – ﷺ –، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله – ﷺ – قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك"(١).

وبالمقابل أرشد الرسول – ﷺ – أولياء المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، وأداء حقوق الزوجية، وتربية الأولاد، روي عن النبيّ – ﷺ – أنّه قال: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"(٢). إذن الاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهمّ ما يحقّق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة، وللأولاد تربيتهم الإسلامية الفاضلة، وللأسرة شرفها الثابت، واستقرارها المنشود.

٢- ضرورة توعية الجماهير ومدّهم بأحدث أساليب التنشئة الأسرية، خاصّة وأن الدراسات الحديثة قد أثبتت أنّ أساليب التنشئة الأسرية السويّة لها

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه الترمذي.

أثرها الواضح الذي ينعكس إيجاباً على الصحّة النفسية والعقلية والبدنية للطفل، والعكس صحيح، فإنّ التنشئة غير السويّة للأبناء تؤدّي بهم إلى الاضطرابات النفسية والشخصية، وتدفعهم إلى الانحرافات السلوكية، والاتجاه نحو عالم الجريمة.

٣- أن تعمل وزارات التربية والتعليم على إقرار تدريس مادّة التربية الأسرية ضمن المناهج الدراسية بالمرحلة الثانوية والجامعية لكلّ من الجنسين، حتّى يكتسب الطلاب المقبلون على الزواج معرفة أفضل شروط وأسس اختيار شريك الحياة، وكيفية إقامة حدود الله في تكوين الأسرة، حتّى تتّسم بالطمأنينة والمودّة والسكون كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون ﴾[1]؛ يضاف إلى ذلك معرفة كيفية رعاية الأبناء وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة جسمياً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً ودينياً وخلقياً..إلخ.

٤- تفعيل وظيفة الأسرة المسلمة لتقوم بمسئوليتها في تحصين الأبناء ضدّ الفكر المتطرّف أو الانحراف، والعداوة، والعدوانية، وأساليب التوافق غير السوية، وذلك بنشر الوعي الأسري، وتنمية روح المسؤولية نحو الأبناء لدى الآباء والأمّهات، وتوطيد أواصر الصلة بين أفراد الأسرة لتعود قويّة كما كانت، فالأسرة هيّ حائط الصدّ الأوّل، والجدار المنيع لحماية الجيل الجديد من أيّ انحراف.

- **ثانيًا: المسجد:**

٥- إنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو أحد أهمّ الأعمدة التي تقوم

(١) سورة الروم: ٢١.

عليها أمّة الإسلام وبه فضّلت على سائر الأمم، ولذلك فإذا تواصى الناس بالخير، وكان كلّ مسلم مرآة لأخيه، وفتحت القلوب لاستقبال النصح والمشورة بدافع ديني شرعي، وللمسجد مسؤولية كبيرة في ذلك، وبه يرأب الصدع، وتوقى أسباب الهلاك، وترفعت البلايا عن البشر؛ إنّ ذلك صمّام أمان المجتمعات الإسلامية.

وقد نعى القرآن على بني إسرائيل إهمالهم التواصي بالخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ. كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[1]. وهؤلاء اليهود لم يكونوا قد تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة كلّية ونهائية، بل إنّهم كانوا يفعلون كلاً من الأمرين، ولكنّهم لم يكونوا يقاطعون الفاعلين للمنكر، فقد كان أحدهم يرى الرجل على منكر محرّم فيقول له "يا هذا اتّق الله، ودع ما تصنع فإنّه لا يحلّ لك، ثمّ يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلمّا فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض"[2].

٦- نشر الوعي الديني الصحيح بين الأطفال والشباب والراشدين، والتأكيد على أنّ جوهر الإسلام هو الرحمة، وحسن الخلق، والتعاطف بين البشر ما لم يقاتلونا في الدين.

إنّ التديّن إذا مسّ شغاف القلب، وكان جزءاً من حياة المسلم، تراه يسير على الأرض هيّناً ليّناً شفيقاً بكلّ البشر، بل حتّى بالحيوان والجماد.

وقد فرّق القرآن الكريم بين الإيمان والإسلام في سورة الحجرات:

(١) سورة المائدة: ٧٨-٧٩.
(٢) رواه أبو داود.

﴿ قَالَتِ الاعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الايمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(1). وقد حدّد القرآن أوصاف عباد الرحمن في سورة الفرقان وحدّد منها صفات: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الارْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾(2). وهذا يحتاج إلى نشر الوعي الديني على يد أئمّة المساجد أو العلماء.

٧- تنمية الشعور بالانتماء، – من خلال خطب الجمعة والمحاضرات- وإدراك أهمّية الجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف، فإنّ لزوم الجماعة عبادة، والخروج عليها باب من أبواب الفتن، وقد أكّد القرآن أنّ التفرّق هو سبب الفشل في غير موضع منه ومن هذه المواضع قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(3). ولن يتأتّى شعور الفرد بالانتماء لجماعته إلاّ إذا كانت هذه الجماعة مشبعة لحاجاته النفسية والاجتماعية وأحياناً المادّية.

٨- توفير برامج حيويّة تهتمّ بمعاناة الناس ومشكلاتهم، كاهتمام المساجد – مثلاً – بمشكلة العزّاب، أو العاطلين عن العمل، أو الأيتام، والمرضى، وأمثال ذلك – على الأقلّ – ممّا يربط الأمّة بالمسجد.

إنّ جمع الزكاة العامّة وزكاة الفطر، والصدقات المندوبة، وتشجيع المحسنين على القيام بمشاريع الإحسان من الأمور التي يمكن أن يؤدّيها المسجد في أكثر بلاد المسلمين

(١) سورة الحجرات: ١٤.
(٢) سورة الفرقان: ٦٣.
(٣) سورة الأنفال: ٤٦.